اعلى تقدير، ٣٥٨٤٠ نسمة في الهجرة الاولى، التي دامت خمسين عاماً.

ولو افترضنا، أيضاً، زيادة سكانية عالية، بحيث يتضاعف عدد السكان كل ٢٥ سنة، فان من المتوقع ان يصبح عددهم، عند عودتهم الى مصر من الهجرة الاولى، حوالى ١٤٠ ألف نسمة. وعليه، فأنه عند الهجرة الثانية، وفي احسن الاحوال وأعلى التقديرات، وخاصة بعدما لاقوا من مشاقّ وصعاب في الهجرة الاولى، فمن المتوقّع ان يكون ربع عددهم قد انضمّ الى الفريق الذي يدّعون بأنه هاجر باتجاه فلسطين؛ وهذا العدد قد يصل الى حوالى ٣٥ الف نسمة، توفى منهم حوالى الخمس في معاركهم على طول الطريق وفي جبال مؤاب والسلط، وتبقّى منهم حوالى ٢٨ ألف نسمة.

ولو وضعنا تقديراً وسطاً، بدلاً من أعلى التقديرات، آخذين بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والبيئية، التي كانت سائدة في ذلك الوقت، والتي انعكست على المهاجرين من اتباع سيدنا موسى، من نسبة وفيّات الاطفال العالية، والنظام الغذائي السيىء، وكذلك غياب العناية الصحية وأمد الحياة القصير، ونسبة الذكور العالية الى الاناث اللواتي شاركن في الهجرة الاولى، لأدّى ذلك الى تقليل عدد المهاجرين. ففي تقدير وسط يبلغ عدد المهاجرين حوالى ١٥ ـ ١٨ ألف شخص، انتقلوا الى بيئة جديدة ليس لهم فيها قاعدة اقتصادية، او اجتماعية، او سياسية، ممّا يصعب عليهم التغلب على السكان الاصليين وتشكيل اغلبية سكانية او فئة متحكمّة.

ومن هنا، فان العدد القليل جداً الذي تمكّن من الوصول الى فلسطين لم يكن بمقدوره محاربة الفلسطينيين، بل دخلها كأقلية تعتمد على الرعي، وعلى خدمة السكان الأصليين. وقد تفرّق من وصل من اليهود بين القبائل؛ اذ لم يكن بمقدورهم اقامة دولة، أوكيان، أومدن خاصة، حيث أنهم اشتهروا بضعفهم وعدم قدرتهم على مجابهة الفلسطينيين الأقوياء، الذين لا يمكن التغلّب عليهم[١٤]. ولم تسمح وسائل المواصلات البدائية، التي كانت سائدة آنذاك، تجميع هؤلاء المهاجرين، واعطاءهم الفرصة لتنظيم انفسهم، ومحاربة سكان البلاد الاصليين لتشكيل سلطة عليهم، بل على العكس، من المتوقّع ان العدد البسيط الذي تمكّن من الوصول الى فلسطين لم يكن بمقدوره حتى الاحتفاظ بشخصيته، بل انخرط واصبح جزءاً من المجتمع الفلسطيني الكبير.

هذا وقد استقبلت فلسطين أعداداً من الأشوريين والمصريين؛ وحكمها الفرس قرابة مئتي عام؛ وكذلك حكمها اليونانيون قرابة ٣٥٠ عاماً[١٥].

يستدل ممّا سبق ان الجماعات التي مرت بفلسطين لم تصبغ البلاد بصبغتها، بل اندمجت مع السكان الاصليين، عدا الكنعانيين والفلسطينيين، الذين تركوا مخلّفات مدينية واضحة تدل عليهم. فقد كانت مدنهم عظيمة محصّنة حتى السماء (مدن قلاع احاطت بها الاسوار والابواب والنوافذ)[١٦]. وقد تركت الأقوام التي حكمت فلسطين آثاراً مدينية متباينة، أهمها ما خلّفه الكنعانيون، الذين بلغ عدد المدن والقرى التي أقاموها، وما زالت تحتفظ بأسمائها أو حُرِّفت تحريفاً بسيطاً، ٣٧ مدينة وقرية. أمّا مدنهم وقراهم التي ظهر تحريف كبير في تسميتها، فبلغ عددها ٨١ مدينة وقرية. اضافة الى ان يد الدمار امتدت الى ١٠٢ مدينة وقرية، كانت عامرة في زمانهم[١٧]. أمّا الرومان، فقد تركوا حوالى ٧٥ مدينة وقرية في فلسطين[١٨].

عوامل نشأة مراكز الاستقرار الفلسطينية

تضافرت عوامل بشرية وطبيعية عدّة لخلق مراكز استقرار دائمة في فلسطين منذ أكثر من